بعيداً عن «زمش»

محمد ابو الغيط

في كتابه «الطريق إلى زمش»، يروي الكاتب الكبير، محمود السعدني، قصته المُضحكة المبكية، حين فُصل من عمله، ثم اعتقاله بوصفه كادراً شيوعياً مهماً بسبب مصادفة غير محسوبة.

أخبره رجال الأمن الذين اعتقلوه أنه مدعوٌّ لحديث لن يستغرق خمس دقائق، فإذا به يطول ليستغرق خمس سنوات بين أعوام 1959 و1964. وحيث إنه أجاب عن أسئلة المحقق عن التنظيم الذي ينتمي إليه بعبارة «زي ما أنت شايف»، فقد تحوّلت اختصاراً إلى تنظيم «زمش». قرأت الكتاب للمرة الأولى في أثناء دراستي الجامعية، بعواطفي الغاضبة من النظام الاستبدادي الذي عذّب صفوة مثقفي مصر. ولكن حين عدت أخيراً إلى قراءته، كان ما لفتني هذه المرة التأمل في استعراض مسار الحزب الشيوعي المصري الذي صعد إلى القمة ثم ذوى حتى تلاشى.

ضم الحزب نخبةً من المثقفين والمناضلين المصريين، لكنه فشل لعوامل بعضُها من خارجه وبعضُها من داخله، أبرزها مجموعة من «الجُهّال والصيّع» الذين وصلوا إلى مراتب قيادية في الحزب. يركّز السعدني على من يسميهم «أهل الحنجوري»، أصحاب المصطلحات المعقّدة والشعارات البرّاقة المستوردة من الأحزاب الشيوعية السوفييتية والصينية، حتى أن أحدهم سمّاه السعدني «ستالين الواحات»، وكان يتصوّر نفسه فعلاً سيقود مصر، وسخّر خمسة من الرفاق للبحث عن أعقاب السجائر «السبارس» لحسابه. شملت المزايدات الداخلية بعض أكفأ الكوادر، حتى أن المثقف الكبير عبد الرحمن الخميسي تعرّض لاتهام بأنه جاسوس لإدارة سجن أبي زعبل. ولاحقاً ظهر أن بعض الأعلى صوتاً كانوا هم أول الخونة، وفي مقدمتهم رئيس اللجنة الأمنية للحزب شخصياً، والذي عقد صفقة لإطلاق سراحه نظير تسليم المخابئ كلها.

أصيب الحزب بأمراض التنظيمات السرية المعهودة. تحوّل التنظيم إلى طائفة، وإلى مرجعية قائمة بذاتها. بعضهم رأى نجيب محفوظ أديبا برجوازيا رجعيا، بينما أديب حسانيه. شملت المزايدات الداخلية بعض أكفأ الكوادر، حتى أن المثقف الكبير عبد الرحمن الخميسي تعرّض لاتهام بأنه جاسوس لإدارة سجن أبي زعبل. ولاحقاً ظهر أن بعض الأعلى صوتا كانوا هم أول الخونة، وفي مقدمتهم رئيس اللجنة الأمنية للحزب شخصيا، والذي عقد صفقة لإطلاق سراحه نظير تسليم المخابئ كلها.

أصيب الحزب بأمراض التنظيمات السرية المعهودة. تحوّل التنظيم إلى طائفة، وإلى مرجعية قائمة بذاتها. بعضهم رأى نجيب محفوظ أديبا برجوازيا رجعيا، بينما أديب حسانيه، وسخّر خمسة من الرفاق للبحث عن أعقاب السجائر «السبارس» لحسابه. شملت المزايدات الداخلية بعض أكفأ الكوادر، حتى أن المثقف الكبير عبد الرحمن الخميسي تعرّض لاتهام بأنه جاسوس لإدارة سجن أبي زعبل. ولاحقاً ظهر أن بعض الأعلى صوتا كانوا هم أول الخونة، وفي مقدمتهم رئيس اللجنة الأمنية للحزب شخصيا، والذي عقد صفقة لإطلاق سراحه نظير تسليم المخابئ كلها.

أصيب الحزب بأمراض التنظيمات السرية المعهودة. تحوّل التنظيم إلى طائفة، وإلى مرجعية قائمة بذاتها. بعضهم رأى نجيب محفوظ أديبا برجوازيا رجعيا، بينما أديب حسانيه.

أب البلاد ينقلب على الأم في ميانمار

محمود الريماوي

ليست مسألة شماتة بالزعيمة، بل تخطئةً متجدّدةً لها حتى في هذه الظروف التي وقع فيها انقلاب عسكري في موطنها ميانمار، الإثنين الماضي مطلع فبراير/ شباط الجاري، فقد باتت السيدة أونغ سان سوتشي رهينة لدى عسكر بلادها، وتم إلزامها بإقامة إجبارية في منزلها حتى 15 فبراير، مع قطع اتصالاتها بالعالم الخارجي. لم يستهدفها الانقلاب وحدها، بل أيضاً رموز النظام برمته، بمن فيهم رئيس الدولة المنعزلة، يو وين مينت. ولم يحظ ما جرى بمباركة خارجية أو تعامل مع الأمر الواقع. وفي الداخل، لم يحظ الانقلاب برضا شعبي، وعبّر كثيرون عن مواقف رمزية صامتة، معارضة ومندّدة بما جرى، كحال الهيئات الطبية التي قامت باعتصامات وامتناع عن العمل، ما عدا معالجة الحالات الطارئة.

وبينما بنت السيدة أونغ، على مدى عقود، مجدها السياسي والشخصي، على مقاومة العسكر في بلاده، والتظهّر بمظهر زعيمة مدنية تناصر دولة مدنية تكفل حقوق الإنسان، فقد اختارت هذه السيدة الكفّ عن قناعاتها هذه، حين تعلّق الأمر بتجريد الجيش والشرطة حملة عسكرية استئصالية ضد مسلمي الروهينغا المقيمين في تلك البلاد جنوب شرق آسيا في عام 2017. بدت السيدة، آنذاك ولاحقاً، في غاية الانسجام مع المؤسسة العسكرية والأمنية والدينية في بلادها، ما دامت المسألة متعلقة بأقلية نحو مليون لاجئ مسلم قديم من ميانمار إلى بنغلادش (وهي دولة إسلامية بارزة)، ثم من هذه الدولة إلى جزيرة نائية في خليج البنغال، تُعرف بأنها مسرح للأعاصير.

لا يؤيد المرء الانقلابات العسكرية، ومنها هذا الانقلاب في البلد «البعيد»، وبخاصة أن ما جرى قد تم تحت زعم استعادة الحياة الديمقراطية، بعد التشكيك بانتخابات جرت في نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، ومنحت حزب الزعيمة، الرابطة الوطنية من أجل الديمقراطية، 80% من المقاعد. وقد بدأت المعارضة، ومنها على الخصوص حزب اتحاد التضامن والتنمية الذي يدعمه الجيش مباشرة، بإطلاق مزاعم عن قوع تزوير في عملية الاقتراع. وكررت هذه الاتهامات في بيان وقعه نائب الرئيس الذي تولى بعد الانقلاب مهام الرئيس، لتبرير فرض حالة الطوارئ في البلاد مدة عام، فالعسكر لا يعرفون الانتخابات، ولا يقومون حتى بحراستها، لكنهم في ميانمار يتمتعون بوضع فريد لا مثيل له، فالعسكر هناك، وقد كان أشد الردود ضعفاً التي اتسمت بها مواقف الدول الإسلامية ومنظمة التعاون الإسلامي، ما عكس تخاذلاً صريحاً عن نصرة الضعفاء. وبينما تقيم السيدة حالياً تحت الحراسة في بيتها، فإن الآلاف من الروهينغا قد تم تهجيرهم في البلد، وتقويض بيوتهم البائسة وإحراق قراهم: 400 قرية، وقد تم محو أسماء 12 قرية منها عن خرائط البلاد. وفيما أبدت مراجع حقوقية وإنسانية استهجانها الشديد من مواقف تلك السيدة التي ناصرت القضية العنصرية، فإن هذه الحملة لم تدفعها إلى مراجعة موقفها، بل مضت فيه، متدثّرة بالصمت، ويائسٍ إلى جذب تعاطف الجمهور، أو لعل أحدهم لم أصل عربي، تستثيره قصص الحب أكثر من أي نوع آخر من الدراما الإنسانية.

من جهة أخرى، لماذا تزعجنا مواقف شخصيات معروفة، على الرغم من أن لها كل الحق في التفكير الذي قد نصفه نحن بالغبي أو السطحي، فننكره عليها بسبب شهرتها، أو بدعوى النموذج الذي تقدّمه، ما يجعلنا نعتقد أنه من حقنا انتقاده ومحاسبته، بينما يذهب بعضهم أبعد من ذلك، فيدخل حاملاً سيف دون كيشوت، ليبدأ حربا وهمية معه، بادئاً جهداً وطاقة في محاسبة هذه الشخصية ومعاقبتها على مواقفها.

ولن يختلف ذلك عن آخرين لا يملكون مواقف يعبرون عنها، ولا خوف عليهم من آثارها، لكنهم يمارسون الحد الأقصى من الديمقراطية الافتراضية؛ يجعل صفحته بسطة لتوسّل العطف، يشتى الطرق، حتى لو نشر صور أقاربه الموتى، وأولاده في المستشفيات، أو وضع صورته وهو بالبيجاما مرتميا في ركن من صالونه، حزين المحيّا، مكشّر الوجه، أو مربوطا إلى أنابيب وإبر، أو على إصبعه ضمادة صغيرة حتى. وهناك من جعلها باب رزق، ووضع كل حركة وسكنة في ركن التّعريف به: مرة رأيت سيرة تتجاوز عشرات الصّفحات على جدار أحدهم، وكانت مرّة تقدّمت لمنحة، وكان بين الشروط أن تضع روابط صفحاتك على مواقع التواصل الاجتماعي ضمن مواد الملف. فاجأني هذا، فلا شيء يربط المطلوب بالمنحة، ولا يجوز أن يكون. هذا ما كان ينقصك .. أن تصبح صفحاتك الشخصية التي تنشر فيها ما خطر لك وعلى هواك، معتقدا أنها نوافذ تشرئب عبرها مع جيرانك في الحيّ الافتراضي الذي تكوّنه على مزاجك؛ لترمي في الهواء ما تفكر فيه، وما يزعجك، أو مواقفك تجاه الأحداث، أو لعلّك تكتفي بأن تنثر خزعبلات تضحك فيها على نفسك، أو مع أصدقائك، لتتنفس وتُنفّس.. أن تصبح هذه النوافذ والشوقوق الصغيرة عامل حسم في حياتك المهنية أو الإبداعية.

خطر لي هذا الحدث، لمّا صادفت إعلانا لصفحة تتضمن محتوى إلكترونيا، يقول صاحبها فيه: خذ بالك مما تنشره على صفحتك، لأنّ مشغّلك القادم قد يدخل إليها، ويتعرّف إلى طريقة تفكيرك، من خلال محتواها. لذا انتبه إلى ما تنشره، حتى لا تتسبب سمعتك الإلكترونية في إفساد صورتك المهنية.

هكذا تصبح هذه الصّفحات التي نرفّه فيها عن أنفسنا شاهدا عليك، وعلى طريقة تفكيرنا وحياتنا.. هذا ما كان ينقصنا لنختنق. إنه أشبه بأن ينّصب أحدهم ظلّك جاسوساً عليك. تعلم أنّه موجود، وهو يعلم، وأنكما تعلمان بكل ما يفعله كلاكما، لكنك وحدك من عليه أن يعيش مع هذه الحقيقة، موهما نفسه بأنّ له خصوصية ما.

تذكّر هذه الرقابة البعدية بالإفلام عن مدن وعوالم منشأة على أساس مراقبة دائمة. حيثما ذهبتَ، أنت قيد التّصوير، ومع ذلك تخرق بعض القوانين مع علمك أنك ستقع في مصائب بسبب ذلك، لأنّ الحرية التي كانت لأسلافك تجري في دمك، ستنتصر على الرقابة التي تدخّل في حرب مكشوفة معها، في ساحة مفتوحة، تراكَ فيها ولا تراها، ولا تعرف من أين ستأتيك الضّربة. معظم هذه الأفلام قائم على حبكة رواية «1984» لجورج أورويل، وعلى فكرة «الأخ الأكبر» الذي يراقب كل شيء، حتى الضّمائر... والعجيب أنهم يمارسون حياتهم على الرغم من علمهم أن كل حركة وسكنة تحت عين عملاقة. والأعجب أن بعضهم يتملكون جرأة مخالفة أوامر العين، والتصرّف بما يخالف مذهبها تحت نظرها، لأنه لا مجال لغير ذلك. إذ ما معنى الحياة بدون مغامرة.

والطريف أن الجريمة الأكبر في تلك الأجواء المراقبة هي الحب. لا أعرف لمَ يجد كتاب السّيناريو أن الحب هو المغامرة الكبرى التي يقوم بها إنسان محروم من إنسانيته؟ لعل الحب حقّا هو نقطة ضعف الإنسان الأكبر، وأكثر ما يحفّزه على اقتراف الحماقات، أو لعل ذلك كله يسعى إلى جذب تعاطف الجمهور، أو لعل أحدهم لم أصل عربي، تستثيره قصص الحب أكثر من أي نوع آخر من الدراما الإنسانية.

من جهة أخرى، لماذا تزعجنا مواقف شخصيات معروفة، على الرغم من أن لها كل الحق في التفكير الذي قد نصفه نحن بالغبي أو السّطحي، فننكره عليها بسبب شهرتها، أو بدعوى النّموذج الذي تقدّمه، ما يجعلنا نعتقد أنه من حقنا انتقاده ومحاسبته، بينما يذهب بعضهم أبعد من ذلك، فيدخل حاملاً سيف دون كيشوت، ليبدأ حربا وهمية معه، بادئاً جهداً وطاقة في محاسبة هذه الشّخصية ومعاقبتها على مواقفها.

ولن يختلف ذلك عن آخرين لا يملكون مواقف يعبرون عنها، ولا خوف عليهم من آثارها، لكنهم يمارسون الحد الأقصى من الديمقراطية الافتراضية؛ يجعل صفحته بسطة لتوسّل العطف، يشتى الطرق، حتى لو نشر صور أقاربه الموتى، وأولاده في المستشفيات، أو وضع صورته وهو بالبيجاما مرتميا في ركن من صالونه، حزين المحيّا، مكشّر الوجه، أو مربوطا إلى أنابيب وإبر، أو على إصبعه ضمادة صغيرة حتى. وهناك من جعلها باب رزق، ووضع كل حركة وسكنة في ركن التّعريف به: مرة رأيت سيرة تتجاوز عشرات الصّفحات على جدار أحدهم، وكانت مرّة تقدّمت لمنحة، وكان بين الشروط أن تضع روابط صفحاتك على مواقع التواصل الاجتماعي ضمن مواد الملف. فاجأني هذا، فلا شيء يربط المطلوب بالمنحة، ولا يجوز أن يكون. هذا ما كان ينقصك .. أن تصبح صفحاتك الشّخصية التي تنشر فيها ما خطر لك وعلى هواك، معتقدا أنّها نوافذ تشرئب عبرها مع جيرانك في الحيّ الافتراضي الذي تكوّنه على مزاجك؛ لترمي في الهواء ما تفكر فيه، وما يزعجك، أو مواقفك تجاه الأحداث، أو لعلّك تكتفي بأن تنثر خزعبلات تضحك فيها على نفسك، أو مع أصدقائك، لتتنفس وتُنفّس.. أن تصبح هذه النوافذ والشوقوق الصغيرة عامل حسم في حياتك المهنية أو الإبداعية.

خطر لي هذا الحدث، لمّا صادفت إعلانا لصفحة تتضمن محتوى إلكترونيا، يقول صاحبها فيه: خذ بالك مما تنشره على صفحتك، لأنّ مشغّلك القادم قد يدخل إليها، ويتعرّف إلى طريقة تفكيرك، من خلال محتواها. لذا انتبه إلى ما تنشره، حتى لا تتسبب سمعتك الإلكترونية في إفساد صورتك المهنية.

هكذا تصبح هذه الصّفحات التي نرفّه فيها عن أنفسنا شاهدا عليك، وعلى طريقة تفكيرنا وحياتنا.. هذا ما كان ينقصنا لنختنق. إنه أشبه بأن ينّصب أحدهم ظلّك جاسوساً عليك. تعلم أنّه موجود، وهو يعلم، وأنكما تعلمان بكل ما يفعله كلاكما، لكنك وحدك من عليه أن يعيش مع هذه الحقيقة، موهما نفسه بأنّ له خصوصية ما.

تذكّر هذه الرقابة البعدية بالإفلام عن مدن وعوالم منشأة على أساس مراقبة دائمة. حيثما ذهبتَ، أنت قيد التّصوير، ومع ذلك تخرق بعض القوانين مع علمك أنك ستقع في مصائب بسبب ذلك، لأنّ الحرية التي كانت لأسلافك تجري في دمك، ستنتصر على الرقابة التي تدخّل في حرب مكشوفة معها، في ساحة مفتوحة، تراكَ فيها ولا تراها، ولا تعرف من أين ستأتيك الضّربة. معظم هذه الأفلام قائم على حبكة رواية

كاريكاتير **سعد المهندي**

ثورة يناير بين جيلين

سيف الإسلام عيد

بعد عقد من الثورة المصرية، أصبح من الضروري أن تبدأ مراجعات نقدية ممن شاركوا فيها، ومن الباحثين، لأحداثها، ومراجعة مواقف فاعليها من حركات وأحزاب ونُخب وشباب، فضلاً عن مُساءلة أسباب، أهمها عدم امتلاك موارد للعمل الفارقة من تاريخ الثورة، بالإضافة إلى مراجعة مسارات الفاعلين السياسيين من الثورة، علاوة على الحاجة إلى تقديم النقد الذاتي الذي يتعلق بتقييم المسارات التي اتبعها سابقًا من امتلكوا الفعل السياسي سابقًا، وتصحيح الاستراتيجيات التي تُسلك حاليًا، إن وُجدت، وتقديم رؤى نقدية للماضي وموضعة الحاضر، ومحاولة استشراف المستقبل بشكل يتفادى عثرات الماضي.

تفترض هذه المقالة، وبإيجاز شديد، أن الثورة المصرية طوال عشر سنوات قد أنتجت جيلين، الأول شارك في صناعة ثورة 25 يناير التي جاءت من خارج الممارسات التقليدية للسياسة في مصر إبّان عهد حسني مبارك (على الأقل العقد الأخير من حكمه)، واستقطب إلى الممارسات التقليدية السياسة إبّان المرحلة الانتقالية من خلال القنوات والتجمعات الشرعية التقليدية، كالأحزاب والحركات والائتلافات، ومن ثم أصبح ضحية الاستقطاب السياسي الذي تسبّبت فيه الانحيازات المصلحية للنُخب السياسية تارة، بل وجزءًا كذلك من صناعة الاستقطاب السياسي الذي عجّل بنشوب الانقلاب العسكري الذي قاده الجنرال عبد الفتاح السيسي في 3 يوليو/ تموز 2013، ولم يستطع تقديم تجربة مستقلة لممارسة الفعل السياسي من خلال تكوين أحزاب أو حركات أو تحالفات فاعلة، إذ جاءت، في معظمها، محاولة للخروج من تنظيمات تقليدية انتمى إليها بعضهم سابقًا، أو تكوّنات لم تنجح في عبور بعض الاختبارات، كالانتخابات التشريعية، وتأييد بعد ذلك في جو مليء بالاستقطاب الذي عكس أسس هوياتية وإيديولوجية، ولم يستطع، منذ ذلك الحين، تجاوز الاستقطاب الإيديولوجي والسياسي لتقديم عمل غير تقليدي مرة أخرى، ولو من المهجر. والجيل الثاني هو الذي شارك، في سن مبكرة، ضمن مرحلة المراهقة وبواكير الشباب، في الثورة المصرية ضمن القطاعات الشعبية والتنظيمية التي شاركت دعمًا وتأييدًا لمطالب الثورة، من دون أن يكون هذا "الجيل" جزءًا من صناعة القرارات أو مجرّد الاقتراب من صانعيها في التنظيمات السياسية الفاعلة، ولم يمتلك كذلك القدرة على صناعة الفعل السياسي، لاعتبارات جوهرية أهمها "حداثة السن"، وعدم وجود خبرة سياسية مسارساتية.

يواجه جيلا شباب الثورة المصرية بعد عقد، عُدّدا، تحديات مشتركة أمام استعادة الفعل السياسي تتمثل في: أولا، الاستقطاب المترسب بين القوى السياسية والديني جرى، في أحيان كثيرة، على أساس هوياتي أيديولوجي وليس على أساس الموقف من قضايا الديمقراطية ومبادئها، ولا يزال "الجيل الأول" غير قادر على تجاوزه، وخصوصا القائم على أسس شخصية منه. ثانيا، تقديم العمل الإيديولوجي والهوياتي على العمل السياسي الجمعي، وقد ظل العمل الأيديولوجي والهوياتي على ما هو عليه، بل ازداد تعميقًا بعدما جمع نظام عبد الفتاح السيسي، من خلال أدوات القمع المختلفة، فرقاء الأمس في معسكر معارضته، والذي لا بد أن يأخذ صفة العبور على الإيديولوجيا وشكله، أفكارًا وتنظيمًا. ثالثًا، شُحّ فرص العمل السياسي خارج الأطر التقليدية، وخصوصا بعدما انتقل العمل المعارض لنظام السيسي إلى المهجر، وذلك لعدة أسباب، أهمها عدم امتلاك موارد للعمل خارج الأحزاب والحركات السياسية، واستمرار سيطرة النخب المعارضة وتصدّرها قيادة هذه التنظيمات، من دون إفساح المجال لتصعيد جيل جديد من الشباب، قادر على قيادة العمل المعارض من المهجر. وبدلًا عن ذلك، تستمر النخب التقليدية في تهميش أي محاولات تجديدية، تحت ادّعاء عدم ملاءمة السياق الاستثنائي لمثل هذه الدعوات، وتستمر في قيادة التنظيمات والأحزاب مدة قاربت ثماني سنوات، من دون القدرة على سلوك استراتيجية قادرة على الحد من فاشية نظام السيسي، أو مجرّد تحقيق بعض النجاحات في قضايا أساسية، كقضية المعتقلين السياسيين مثلًا!

أمام ما يتبدّاه هذا المقال من تصنيف لشباب ثورة يناير إلى جيلين: الأول أسس لها، والثاني نشأ في ظلها، تتبع أهمية الإشارة إلى الجيل الثاني الذي تكوّن وعيه السياسي في مرحلة محاولة الانتقال إلى الديمقراطية، وتلت إسقاط رأس نظام مبارك، وفي ظل تعدّدية سياسية شبه حقيقية، ومناخ من الحرية غير مسبوق. وقد أفاد فتح المجال العام هذا الجيل في فرصة ممارسة عمل طلابي حقيقي، ولأول مرة منذ عقود، في الجامعات المصرية، وكذا حرية الانضمام إلى الكيانات السياسية. وعلى الرغم من نشأة وعيه السياسي في ظل الاستقطاب السياسي والمجتمعي الحاد الذي دفع بسيولة حدوث الانقلاب العسكري في يوليو/ تموز 2013، إلا أنه لم يكن جزءًا من صناعة الاستقطاب السياسي الذي أودى بفاعلية الجيل الأول للثورة، وأضاع جهدهم في معارك شخصية، نتيجة رغبة في تبني خطاب سياسي وطني، يرتكز على مبادئ الديمقراطية، وليس الانحيازات الإيديولوجية أو التنظيمية التي لا تؤهل لحدوث عمل وطني حقيقي، بالإضافة إلى قدرته على استغلال الفرص المتاحة إقليميًا ودوليًا لمخاطبة الحكومات الديمقراطية التي تتمتع بوجود مجتمعات مدنية حرّة، وترتبط حكوماتها بعلاقات مصلحة مع النظام المصري، من أجل ممارسة نوع من الضغط على الأقل في قضية المعتقلين السياسيين التي لم تشهد حلًا يوقف نزيف الأرواح داخل المعتقلات المصرية. وبعد قرابة ثماني سنوات من الانقلاب العسكري وعمل المعارضة المصرية في الخارج، من دون استراتيجية موحدة (ثورية أو براغماتية)، فقدت وفود المعارضة المصرية التقليدية إلى العواصم الغربية مصداقيتها لدى الحكومات الغربية، بل لم تستطع صياغة ما يمكن أن يكون مقبولًا لدى هذه الحكومات، خصوصا في الفترة التي تلت الانقلاب العسكري ووجود وفود معارضة كانت شريكة في الحكم قبلها بأشهر، من أجل تحقيق نتائج ملموسة في سياق التأثير على النظام المصري.

يحتاج الجيل "الثاني" للثورة المصرية إلى إحداث قطيعة واقعية مع التنظيمات السياسية التقليدية، من أجل أن يقود عملًا سياسيًا حقيقيًا، فلم يحظ هذا الجيل بفرصة حقيقية بعد.

(كاتب مصري)

ميدان التحرير (خالد دسوقي/فرانس برس)

الإنجازات من قبيل مشاركة في برنامج كذا، مسؤول كذا في جمعية كذا، ومنسق لمّة أصحابه في "قهوة العشماوي"، وسبق له أن أجرى مكالمة هاتفية مع شخص مهم، وهو نائب رئيس هذا المهرجان الغنائي ومدير هذا المهرجان الزجلي، ويواب مهرجان "سحر القوافي في مقهى العوافي".

هذا لا يقارن بالأشياء الغريبة التي تسمعها من شخص يقدّم لك صورة مغايرة في "فيسبوك" عن الواقع، ويقول بشكل عادي: "لا تصدقي ما أكتبه هناك .. هو شيء خاص بفيسبوك فقط"، إنّه مجرد دور فقط في نظره؛ فينشر مواقف حداثية، وهو محافظ حتى إصبعه الأصغر، أو يقدم نفسه شخصا عاقلا أو متزنا أو بالغ التدين، وهو في الواقع خفيف العقل والرجل والبدن .. فكيف يريد أصحاب الشركات والمشاريع وأرباب رزقنا الآتي أن يحكموا علينا من صفحاتنا؟ وهم أدرى من حيث معرفتهم بتجرّد المتقدّم من أي عوامل إلا قانون العرض والطلب، أنّ المظاهر خداعة.

مع ذلك، لا يكون التمثيل سهلا كما نظن؛ فكما يحتفظ القتلة المتسلسلون بتذكارات ضحاياهم، على الرغم من علمهم أن هذا قد يؤدّي بهم إلى الإعدام، إذ ليس للنّفس على الهوى سلطان، فيترك الممثلون بعض الملامح تظهر منهم على الصّفحات، وربما تتسلل رغما عنهم، فالطبع يغلب التطبع.

(كاتبة مغربية)

خُذ بالك... من سمعتك الإلكترونية

عائشة بلحاج

مرّة تقدّمت لمنحة، وكان بين الشروط أن تضع روابط صفحاتك على مواقع التواصل الاجتماعي ضمن مواد الملف. فاجأني هذا، فلا شيء يربط المطلوب بالمنحة، ولا يجوز أن يكون. هذا ما كان ينقصك .. أن تصبح صفحاتك الشّخصية التي تنشر فيها ما خطر لك وعلى هواك، معتقدا أنّها نوافذ تشرئب عبرها مع جيرانك في الحيّ الافتراضي الذي تكوّنه على مزاجك؛ لترمي في الهواء ما تفكر فيه، وما يزعجك، أو مواقفك تجاه الأحداث، أو لعلّك تكتفي بأن تنثر خزعبلات تضحك فيها على نفسك، أو مع أصدقائك، لتتنفس وتُنفّس.. أن تصبح هذه النوافذ والشوقوق الصغيرة عامل حسم في حياتك المهنية أو الإبداعية.

خطر لي هذا الحدث، لمّا صادفت إعلانا لصفحة تتضمن محتوى إلكترونيا، يقول صاحبها فيه: خذ بالك مما تنشره على صفحتك، لأنّ مشغّلك القادم قد يدخل إليها، ويتعرّف إلى طريقة تفكيرك، من خلال محتواها. لذا انتبه إلى ما تنشره، حتى لا تتسبب سمعتك الإلكترونية في إفساد صورتك المهنية.

هكذا تصبح هذه الصّفحات التي نرفّه فيها عن أنفسنا شاهدا عليك، وعلى طريقة تفكيرنا وحياتنا.. هذا ما كان ينقصنا لنختنق. إنه أشبه بأن ينّصب أحدهم ظلّك جاسوساً عليك. تعلم أنّه موجود، وهو يعلم، وأنكما تعلمان بكل ما يفعله كلاكما، لكنك وحدك من عليه أن يعيش مع هذه الحقيقة، موهما نفسه بأنّ له خصوصية ما.

تذكّر هذه الرقابة البعدية بالإفلام عن مدن وعوالم منشأة على أساس مراقبة دائمة. حيثما ذهبتَ، أنت قيد التّصوير، ومع ذلك تخرق بعض القوانين مع علمك أنك ستقع في مصائب بسبب ذلك، لأنّ الحرية التي كانت لأسلافك تجري في دمك، ستنتصر على الرقابة التي تدخّل في حرب مكشوفة معها، في ساحة مفتوحة، تراكَ فيها ولا تراها، ولا تعرف من أين ستأتيك الضّربة. معظم هذه الأفلام قائم على حبكة رواية

> نستشعر ونشم عادة رائحة الشخص من منشوراته؛ نعرف أنه مدّع أو زائف

إن يوماً في الثورة كألف سنة

إدريس الكنبوري

بطريقتها الخاصة، احتفلت الصحف الإسبانية الأكثر تجذراً في ثقافة الانتقال الديمقراطي، والتي نشأت في ظل ذلك الانتقال، مثل البايس والموندو وأبي سي والبيريودیكو، بمرور عشر سنوات على الربيع العربي الذي انطلق في يناير/ كانون الثاني من عام 2010، ولم يكمل دورته حول الأرض العربية بعد، كما تدور الشمس حول الأرض. كانت العناوين التي اختارتها تلك الصحف للحديث عن الربيع العربي حزينة، كما لو أنها تتذكّر بدايات الدمقرطة العسيرة في إسبانيا الفرانكاوية خلال النصف الثاني من سبعينيات القرن الفائت.

القضية الأبرز التي يمكن أن تكون مفتاحاً في تمييز العقلية الديمقراطية من نقيضها المتجبر أن هذه الصحف التي تنتمي إلى اليسار والوسط واليمين كانت لها الروح نفسها في معالجة موضوعة الربيع العربي الذي تخطفته جميع الأيادي، وتداعت عليه الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، إذ لا يوجد يمين متأمر على الديمقراطية والحرية إلا في بلداننا العربية، حيث يمكن لليمين أن يكون كل شيء تقريباً، وحيث يمكن لليسار أن يتحوّل إلى يمين اليمين، بعد أن يجرب الوسط.

وفيما توقفت «الموندو» عند العقد الضائع من الربيع العربي (هكذا عنونت إحدى مقالاتها)، وتحدثت عن الحكم الخاطف في مصر للرئيس محمد مرسي الذي جاء بين ديكتاتوريتين، كتبت «البايس» أن المارشال عبد الفتاح السيسي «لا يريد أن يتذكّر الربيع»، وكتبت في جمل واضحة وضّاحات، أن الثورات لا تتم بين ليلة وضحاها، بل لها هزّات تعبر سلسلة من الانحرافات المتوالية في الزمن والمكان، قد تستغرق وقتاً أطول مما هو متوقع، لأن مقاييس إنجاز الثورات وعمليات التغيير ليست المقاييس ذاتها التي نقيس بها الحوادث الأخرى، ففي جميع الثورات عبر التاريخ الإنساني كان يوم واحد يعد بالآف الأيام، إذ الثورة منافية للاستعجال ونافية له.

(كاتب مغربي)

مسيرتُها بعد، وهي نموذج حي أيضاً لعمليات الإصلاح والتغيير التي لا تحصل دفعة واحدة، بل تأخذ وقتها، كما الباذنجان في المثل المغربي، ينضج على مهل. ومقارنة مع فرنسا على سبيل المثال، حيث تم نسيان الثورة تماماً بعد أكثر من عشرة أجيال، فإن إسبانيا لا يزال فيها الجيل الأول الذي صنع الثورة الديمقراطية، وهو الأكثر قدرةً على تمثل شعور العرب بالحسرة جرّاء إفشال نجاح الربيع العربي، إذ ما تزال الدكتاتور فرانسيسكو فرانكو حاضرة في الذاكرة الإسبانية، وما تزال الثورة متنابعة، حيث تتم مناقشة الإرث الفرانكوي كله، من نقل رفات فرانكو من وسط مدريد إلى مقبرة العائلة كرفات شخص عادي، إلى إعادة النظر في الثقافة الإسبانية كلها من أجل تجريدها من بقايا الاستبداد. بيد أن الصحافة الإسبانية التي تفاعلت مع ذكرى مرور عشر سنوات على الربيع العربي لم تغفل أمراً مهماً لنا، نحن العرب، أن الثورة الديمقراطية في إسبانيا جرت في بيئة أوروبية تتطلع إلى الحفاظ على الديمقراطية، بينما جرت ثورات الربيع العربي في بيئة عربية كانت تتطلع إلى الحفاظ على الاستبداد. وتلك كانت واحدة من مفارقات ثورات الربيع العربي، تضاف إلى مفارقة أخرى، وهي أن جميع الثورات كانت تطرد صانعي الاستبداد إلى المنافي، بينما ثورات الربيع العربي قامت بما هو معاكس لهذه الحركة التاريخية، إذ أرسلت صانعي الثورة إلى المنافي، وأبقت على المستبدّين بالداخل.

قد يكون الدرس الأعمق والأساسي لثورات الربيع العربي، بعد عشر سنوات على انطلاقها، أن الثورات لا تتم بين ليلة وضحاها، بل لها هزّات تعبر سلسلة من الانحرافات المتوالية في الزمن والمكان، قد تستغرق وقتاً أطول مما هو متوقع، لأن مقاييس إنجاز الثورات وعمليات التغيير ليست المقاييس ذاتها التي نقيس بها الحوادث الأخرى، ففي جميع الثورات عبر التاريخ الإنساني كان يوم واحد يعد بالآف الأيام، إذ الثورة منافية للاستعجال ونافية له.

(كاتب مغربي)

إبداعات أسدية

ميشيل كيلو

انتقل التعامل الأسدي مع الاعتداءات الإسرائيلية المسلحة من طور أول استمر نيفاً وأربعة عقود، أمضاها جيش الصمود والتصدّي الأسدي في البحث عبثاً عن الزمان والمكان الملائمين للرد عليها. وبما أن هذه الفسحة الزمنية لم تكن كافية، فقد قرّرت الردّ عليه بضرب جديدٍ من المقاومة عبّر خير تعبير عنه امتناعها عن إذاعة بياناتٍ تعترف بوقوع غاراته، بما أن التطرّق لضرباته التي لا تحقق أهدافها دوما، يرفع روحه المعنوية ويغطي فشله.

لكن جيش المقاومة والصمود، الذي عثر من دون إبطاء على الزمان والمكان الملائمين لسحق السوريين بالملايين، وانتقل إلى الهجوم عليهم حتى قبل مطالبتهم بالحرية، ووجدهما في كل شبر من وطن السوريين الذي أقسم على حمايته، قبل أن يكتشف خيانة شعبه وتآمره مع العدو الإمبريالي/ الصهيوني، ويحتم واجبه الوطني انقضاضه عليه، بصفته شرط انقضاضه على الصهاينة المنتشرين في كل بيت وقرية وبلدة ومدينة سورية، ورفضوا، لهذا السبب، تسامحه الذي خصّهم به أربعين عاما، امتنع خلالها عن قتلهم، على الرغم مما ساوره من شكوك فيهم! بسبب أولوية الحرب على عملاء الصهيونية، وعدم خلط المهام ببعضها وما ينتج عن خلطها من إرباك يصيب فاعليته، اكتشف الجيش المقاوم أن تركيزه على هذه الحرب هو الذي حال دون عثوره على زمان ومكان الرد على «العدو»، وامتناعه عن إسقاط أيّ من طائراته، وإطلاق ولو قذيفة هاون بحجم «كوساية» على مواقعه في الجولان. واليوم، وبعد أن قضى على ملايين المتآمرين من عملاء الصهاينة، قرّر مواجهتهم وإسقاط صواريخهم دون طائراتهم، وتدمير أعداد كبيرة منها في كل بيان عسكري يصدره، في إثبات قدراته الخارقة التي تفشل غاراته بإسقاط صواريخه ومنعها من إصابة أهدافها، والسماح لطائراته التي تطلقها بالعودة إلى مطاراتها خائبة مدحورة، وطياروها يرون عجزهم عن تحقيق مهامهم، لأن صواريخهم تتساقط بالجملة، بصواريخ ينفرد جيش الأسدية بامتلاكها واستخدامها، تتحاشى إصابة الطائرات المعتدية تفاديا لما قد ينشأ من ردود فعل العدو الحقير، الذي سيطالب بطياريه الأسرى، فإن رفض جيش الصمود والتصدّي إعادتهم، دفع ثمنا باهظا لرفضه، وفهمت إنسانيته علامة ضعف.

لهذه الأسباب، قرّرت القيادة الحكيمة الاكتفاء بإسقاط صواريخ الصهاينة وحدها، وإن كانت أسرع من صواريخ أرض/ جو السورية، أو أطلقتها من طائرات «تبيض» شاشات الرادارات وتعطلها، وهي تهاجمها وتقصفها!

هذه التقلة من البحث عن مكان وزمان بحث جيش الأسد عبثا عنهما، نيفا وأربعين عاما، إلى إسقاط الصواريخ من دون الطائرات التي تطلقها، تقدّم فكرة وافية عن بلاهة من يقتلون شعبهم ويتركون وطنهم من دون دفاع، ويغ

لعبة القط والفأر في راهن العلاقات الأميركية الإيرانية

حسن نافعة

تتسم العلاقات الأميركية الإيرانية منذ اندلاع ثورة إيران الإسلامية نهاية سبعينيات القرن الماضي بطابع صراعي حاد، فقد أطاحت هذه الثورة نظام الشاه، أهم حليف للولايات المتحدة في الشرق الأوسط بعد إسرائيل، واستولى الثوار الإيرانيون، في أعقاب اندلاعها، على مبنى السفارة الأميركية في طهران، واحتجزوا العاملين فيها رهائن شهورا قبل أن يفرج عنهم بشروط. ومنذ ذلك الحين، ترسخت مظاهر العداء المتبادل واستحكمت، حيث اقترنت صورة إيران في الإدراك الأميركي بـ «محور الشر»، بينما اقترنت صورة الولايات المتحدة في الإدراك الإيراني بـ «الشيطان الأكبر». وقد تعين الانتظار سنوات طويلة، قبل أن يتمكّن رئيس أميركي من نوعية باراك أوباما من دخول مفاوضات مباشرة مع إيران، ضمن مجموعة 5 + 1، انتهت، في إبريل/ نيسان عام 2015، بإبرام صفقة تتعلق بالبرنامج النووي الإيراني، حملت رسميا اسم «البرنامج الشامل للعمل المشترك»، غير أن هذه الصفقة لم تغير كثيرا من الطابع الصراعي الغالب على شكل العلاقات بين البلدين ومضمونها، ذلك أن هذه الصفقة لم تصمد إلا فترة وجيزة، وانهارت عقب مغادرة أوباما البيت الأبيض في يناير/ كانون الثاني 2017، ففي مايو/ أيار عام 2018، قرّر الرئيس ترامب ليس فقط انسحابا أحادي الجانب من الصفقة، وإنما أيضا فرض عقوبات شاملة على إيران، في إطار سياسة جديدة استهدفت ممارسة أقصى قدر من الضغوط، بغرض إجبارها على إعادة التفاوض لإبرام صفقة جديدة تشمل، إلى جانب برنامج إيران النووي، برنامجها الصاروخي ونفوذها المتزايد في المنطقة.

اليوم، وبعد رحيل ترامب عن البيت الأبيض، يبدو أن فصلا جديدا من العلاقات بين البلدين، لا يستبعد بعضهم أن يأخذ منحىً تعاونيا متصاعدا، على وشك أن يبدأ، فمعروفٌ أن الرئيس الأميركي الجديد، جو بايدن، كان قد أصدر، إبّان حملته الانتخابية، تصريحات عديدة تعكس قناعته بأن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني لم يكن قرارا صائبا، وأدّى إلى عكس النتائج المأمولة، حيث أصبحت إيران اليوم أقرب من أي وقت مضى إلى تصنيع السلاح النووي وامتلاكه، وتعبر، في الوقت نفسه، عن رغبتها في العودة إلى هذا الاتفاق. لذا، ما إن وضع الرجل قدمه في البيت الأبيض، حتى شكّل فريقا مسؤولا عن رسم السياسة الخارجية وإدارتها، يضم خبراء عديدين شاركوا مباشرة في المفاوضات التي أفضت إلى اتفاق 2015، الأمر الذي أكد، على نحو قاطع، أن المسألة الإيرانية ستتصدّر جدول أعمال السياسة الخارجية في إدارة بايدن. ولكن في أي اتجاه ستتحرّك سياسة بايدن الخارجية تجاه إيران، وما هي حظوظ هذه السياسة من النجاح أو الفشل؟

كانت الرسائل الأولية الصادرة عن الإدارة الجديدة تفيد بأن بايدن سينتهج سياسة خارجية تسير في عكس الاتجاه الذي سلكته إدارة ترامب. ولكن يلاحظ هنا أنه تعامل مع قرارات ترامب السابقة بطرق مختلفة، ففيما يتعلق بالموقف من اتفاقية باريس للمناخ، ومن منظمة الصحة العالمية، لم يتردّد بايدن لحظة في الإلغاء الفوري لقرارات ترامب، والعودة بدون أي تحفظاتٍ إلى كل من الاتفاقية والمنظمة. أما بالنسبة للموقف من الاتفاق النووي مع إيران، فقد اختلفت طريقة معالجته له كليا، ففي تصريحاته الأولى، ربط وزير خارجيته، أنتوني بلينكن، بين عودة الولايات المتحدة إلى هذا الاتفاق وقبول إيران الدخول في مفاوضات تؤدّي إلى توسعة نطاقه، ليشمل أيضا برنامجها الصاروخي ونفوذها في المنطقة. بل أوحى بلينكن إلى بعض حلفائه الأوروبيين للمطالبة بضم أطراف أخرى إلى المفاوضات التي تهدف إلى التوصل إلى الاتفاق المنشود، غير أن إيران فهمت من هذه الرسائل الأميركية الأولية أن الإدارة الجديدة تحاول تحقيق ما كان ترامب يسعى إليه من أهداف، ولكن بالوسائل الدبلوماسية، وليس عبر سياسة العقوبات القصوى، ومن ثم رفضتها على الفور، معلّلة هذا الرفض القاطع والفوري بأن الولايات المتحدة هي من بادر بالانسحاب من الاتفاق، وعليها أن تعود إليه بنصوصه وأطرافه نفسها. ومن الواضح أن الموقف الأميركي راح يتراجع خطوة تكتيكية إلى الوراء، حين صدرت تصريحاتٌ تشير إلى أن الإدارة الأميركية الجديدة لا تسعى بالضرورة إلى تعديل الاتفاق القديم، أو توسيع نطاق أطرافه، على الأقل في الوقت الراهن، وأنها على استعداد للعودة إلى هذا الاتفاق والوفاء بالالتزامات المنصوص عليها فيه، شريطة أن تتخذ إيران الخطوة الأولى، وتتراجع عن قرارات سابقة، كانت قد اتخذتها بالتحلل التدريجي من التزاماتها، خصوصا ما يتعلق منها بالعودة إلى نسبة التخصيب المتفق عليها فيه، وهي 3,67% بدلا من النسبة الحالية التي يبدو أن معدلات التخصيب فيها وصلت إلى 20%. هنا ظهرت معضلة من يبدأ بالخطوة الأولى؟

وصف معلق إيراني حالة العلاقات الأميركية الإيرانية، بعد ظهور معضلة من يبدأ بالخطوة الأولى، بأنها تشبه «لعبة العشاق»، غير أن هذا الوصف، على الرغم من طرافته، يبدو مراوغا ومبالغا في تدليله على الوضع الراهن، فالواقع أننا لسنا إزاء حالة تمنع بين عشيقين يتحرّقان لعودة الوصال، ويحاول كل منهما دفع الطرف الآخر إلى المبادرة باتخاذ الخطوة الأولى، وإنما نحن إزاء وضع دولي يتسم بعداء شديد بين طرفين تبدو الثقة بينهما منعدمة بالكامل، بل وما يزال كل منهما يرى في الآخر شرا مستطيرا أو شيطانا يستحيل الثقة به، والتعامل معه بحسن نية، على الرغم من رغبتهما المشتركة في طي مرحلة ترامب، والعودة إلى النقطة التي كانت عليها العلاقات بينهما في نهاية حقبة أوباما.

وفي تقديري أن المعضلة الحقيقية التي تحول دون فتح صفحة جديدة في العلاقة بين البلدين ليست فيمن يبدأ بالخطوة الأولى نحو العودة إلى اتفاق 2015، وإنما فيما سيتلو بعد ذلك من خطوات، فعقبة الخطوة الأولى، على الرغم من أهميتها الرمزية التي تعبر عن رغبة كلا الطرفين في ألا يظهر في الموقف الأضعف، يمكن التغلب عليها بوسائل فنية مختلفة. إذ يمكن الاتفاق على خطواتٍ مرحليةٍ متزامنة، تفضي، في نهايتها، إلى عودة إيران تدريجيا إلى مستوى التخصيب المنصوص عليه في اتفاق 2015 وهو 3,67%، مقابل الرفع التدريجي المتزامن للعقوبات الأميركية، وبالوتيرة نفسها إلى أن يتم إلغاؤها بالكامل، غير أن مجرّد العودة بالعلاقات بين الولايات المتحدة وإيران إلى المستوى الذي كانت عليه في نهاية عهد أوباما لا ينهي كل المشكلات، ولا يعالج الأزمة القائمة بكل أبعادها، وهي أزمة سابقة على الاتفاق النووي، ولاحقة عليه أيضا، فهذا النوع من المسكنات الوقتية لن يكون مقبولا، لا من قوى أميركية داخلية مؤثرة، ولا من أطراف إقليمية أكثر تأثيرا، في مقدمتها إسرائيل بالطبع. فمن الواضح تماما أن إسرائيل ستلقي بثقلها كله للحيلولة دون عودة الولايات المتحدة إلى اتفاق 2015، وستوظف كل ما لديها من وسائل لا يستهان بها للضغط على إدارة بايدن لحمله على عدم رفع العقوبات عن إيران، إلى أن توافق الأخيرة على الدخول في مفاوضات جديدة تستهدف تفكيك برنامجها الصاروخي، إلى جانب برنامجها النووي، وهو ما ترفضه إيران رفضا قاطعا، خصوصا وأنها مقبلة على انتخابات رئاسية في يونيو/ حزيران المقبل، لا يستبعد أن يفوز فيها التيار المحافظ إذا استمرت العقوبات الأميركية.

> تعتقد طهران أن الفوارق بين إدارتي ترامب وبايدن ليست كبيرة، وهي لا تتعلق أبدا بالأهداف، وإنما تدور حول الوسائل
>
> متى يدرك العرب أن إسرائيل المصدر الرئيسي لعدم الاستقرار في المنطقة، ومتى يعودون إلى الوحدة لمواجهة هذا الخطر الداهم؟

تعتقد طهران أن الفوارق بين إدارتي ترامب وبايدن ليست كبيرة، وهي لا تتعلق أبدا بالأهداف، وإنما تدور حول الوسائل، فكل منهما سعى ويسعى وسوف يسعى، في النهاية، إلى تغيير النظام في إيران. ولأنها تدرك، في الوقت نفسه، أنه ما كان في وسع إدارة بايدن أن تفكر أصلا في العودة إلى اتفاق 2015 إلا بسبب صمودها في وجه العقوبات التي فرضها ترامب، فإنها على قناعة تامة بأنها لن تستطيع التعامل بنجاح مع إدارة بايدن، إلا إذا كان لديها الإرادة والقدرة على مواصلة الصمود، حتى لو استمرت العقوبات. لذا أتصوّر أن إيران ستظل ثابتة على موقفها الراهن، على الرغم من قسوة العقوبات، وأن الولايات المتحدة هي التي ستضطر، في النهاية، آجلا أو عاجلا، إلى العودة إلى اتفاق 2015 بدون شروط. وربما كان أقصى ما يمكن توقعه من إيران، خصوصا إن وافقت الولايات المتحدة على البدء في رفع العقوبات عنها قبل وقت كاف من الانتخابات الرئاسية، أن تبدي استعدادها للدخول في مفاوضات حول أمن منطقة الشرق الأوسط ككل. وحين تصل الأطراف المتصارعة إلى هذه النقطة المحورية من مسيرة الأزمة، سيكون في مقدور إيران حينئذ أن تطالب بمفاوضات جادّة لتحقيق الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ككل، وذلك بالعمل على الوصول إلى اتفاقية شاملة لإخلاء المنطقة كلها، وليس منطقة الخليج فقط، من أسلحة الدمار الشامل، وهو ما سترفضه إسرائيل رفضا قاطعا.

ولأن إسرائيل تعتبر سلاحها النووي خطا أحمر، فليس مستبعدا أبدا أن يعود الجدل حول برنامج إيران النووي إلى نقطة الصفر، وفي أية لحظة، وبالتالي تستمر لعبة القط والفأر بين الولايات المتحدة وإيران إلى أمد غير منظور، فمتى يدرك العرب أن إسرائيل هي المصدر الرئيسي لعدم الاستقرار في المنطقة، ومتى يعودون إلى الوحدة لمواجهة هذا الخطر الداهم والحقيقي؟

(كاتب وأكاديمي مصري)

سورية بين فيلتمان وفورد وهوف

وائل السواح

كتب ثلاثة دبلوماسيين أميركيين ديمقراطيين سابقين، أخيرا، مقالات مميّزة عن سورية، طالبين من الرئيس جو بايدن رسم سياسة جديدة لسورية. جيفري فيلتمان وروبرت فورد وفريد هوف. يشغل فيلتمان الآن منصب زميل زائر في الدبلوماسية الدولية في برنامج السياسة الخارجية في معهد بروكينغز. وكان قد شغل منصب وكيل الأمين العام للشؤون السياسية في الأمم المتحدة نحو ست سنوات. وكان سفيرا للولايات المتحدة في بيروت ومساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى. وفي كلّ مراحل عمله، كانت سورية جزءا من اهتماماته. وكان روبرت فورد سفير الولايات المتحدة في دمشق في أثناء اندلاع الانتفاضة السورية في مارس/ آذار 2011، وله خبرة واسعة في العالم العربي، حيث كان سفيرا في الجزائر ونائبا لرئيسة البعثة في العراق بعد إطاحة صدّام حسين. وهو حاليا أستاذ في جامعة يال وزميل في معهد الشرق الأوسط في واشنطن. أما فريد هوف فكان المبعوث الخاص إلى سورية، وقدّم استقالته احتجاجا على سياسة الرئيس الأسبق، أوباما، الهلامية بشأن سورية، بعد مهزلة الخطوط الحمراء والأسلحة النووية الشهيرة في عام 2013.

كتب فيلتمان مقالته بالاشتراك مع هراير بليان، وهو أحد الاعتذاريين المشهود لهم للدكتاتور السوري بشار الأسد، وأحد أقوى الأصوات الديمقراطية التي تطالب برفع الضغوط المفروضة عليه، من معهد كارتر. نشرت المقالة في موقع بروكينغز بعنوان «الولايات المتحدة تحتاج سياسة جديدة تجاه سورية». ونشر فورد مقالته في مجلة فورين أفيرز المرموقة تحت عنوان «فشل سياسة الولايات المتحدة في سورية». ونشر هوف مقالته في موقع أتلانتيك، «سورية: أي طريق للمضي في عهد بايدن؟».

مقالة فيلتمان وبليان هي الأغرب، فالأول من أشد منتقدي الرئيس السوري بشار الأسد ومناهضي سياساته الداخلية والخارجية، بينما كان الآخر منتقدًا قويًا لفكرة أن الضغط وحده سيغير السلوك الإشكالي للأسد. ويستطيع القارئ العارف أن يميّز في المقال بين كتلتين من الأفكار، تلغي إحداهما الأخرى. وتقدّم المقالة مجموعتين من التوصيات لإدارة الرئيس بايدن، الأولى (تستطيع أن ترى فيها خطّ هراير بليان) ترى أن على الولايات المتحدة «النظر في إعفاء جميع الجهود الإنسانية لمكافحة كوفيد 19في سورية من العقوبات. وبالقدر نفسه من الأهمية سيكون تسهيل إعادة بناء البنية التحتية المدنية الأساسية، مثل المستشفيات والمدارس ومرافق الري. سيتبع ذلك تخفيف تدريجي وقابل للعكس للعقوبات الأميركية والأوروبية».

في المقابل، تستطيع أن تتقفّى أثر جيفري فيلتمان في الاستدراك التالي: «لن يتم إطلاق هذه الخطوات إلا عندما تتحقق الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون من تنفيذ خطوات ملموسة تم التفاوض عليها مع الحكومة السورية. ومن شأن آليات الرصد أن تتأكد من التقدم. ستشمل الخطوات الإفراج عن السجناء السياسيين، والاستقبال الكريم للاجئين العائدين، وحماية المدنيين، ووصول المساعدات الإنسانية من دون عوائق، وإزالة الأسلحة الكيميائية المتبقية، وإصلاحات القطاع السياسي والأمني، بما في ذلك المشاركة بحسن نية في اجتماعات الأمم المتحدة في عملية جنيف، وتحقيق المزيد من اللامركزية».

يرى السفير روبرت فورد، في مقالته، أن ثمة روابط سياسية وعسكرية تاريخية تربط بين روسيا وسورية، وهي علاقات تبلغ من القوة حدًا يغدو معه من غير المرجح أن تضعفها الضغوط الأميركية. حافظت روسيا وسورية على علاقة وثيقة منذ الحرب الباردة، وعمل المستشارون الروس في البلاد قبل وقت طويل من بدء الصراع الحالي في عام 2011. كما أن وجود إيران طويل الأمد، ولن تغير الدوريات الأميركية الصغيرة العرضية في شرق سورية أيًا من هذه العلاقات الثنائية، ولن تكون قادرة على منع شحنات الصواريخ الإيرانية إلى البلاد، وهو أمر تقوم به القوات الجوية الإسرائيلية بالفعل بشكل فعال. وبالتالي، فإن نصيحة فورد للرئيس بايدن هي باختصار أن «يسمح لروسيا وتركيا بتأمين مصالحهما الوطنية من خلال تحمل عبء مكافحة تنظيم داعش. في النهاية، تشكل هذه الصفقات جوهر الدبلوماسية، العمل على حل مشكلات محدّدة، حتى مع شركاء بغيضين، لتحقيق أهداف محدودة ولكنها مشتركة.

في المقابل، يتبنى فريد هوف موقفا مغايرا تماما لموقف السفير فورد المهادن، وموقف فيلتمان السلبي. كان واضحا في إدانته سياسة الرئيس السابق أوباما، الذي رفض بشدّة «رفع إصبعه لمعارضة أو معاقبة استراتيجية بقاء القتل الجماعي للمدنيين للنظام السوري، حتى عندما نشر أوباما قواته لمحاربة «داعش» في شمال شرق سورية والعراق. وفي الواقع ... أكد للمرشد الأعلى لإيران أن العمليات العسكرية الأميركية في سورية لن تستهدف عميله (الأسد)، الذي شجّعه بالفعل انهيار «الخط الأحمر» (رسمه الرئيس أوباما) عام 2013، فاستخدمه كشيك على بياض مجدّد ومجاني، وأغرق البلاد بأقصى قدر من الدماء».

ويستنتج أنه بينما يتعيّن على إدارة بايدن أن تراجع العقوبات المفروضة على زعماء النظام والمؤسسات، في محاولة للتأكد من أن لا شيء تفعله الولايات المتحدة لمحاسبتهم، يضيف، ولو بشكل هامشي، إلى المعاناة التي يعاني منها السوريون، بسبب سوء الحكم في بلادهم، فلا يجب أن تكون الإدارة بحاجة «لتلقي تعليمات من أولئك الذين يسعون إلى ترسيخ حكم المدمر الرئيسي لسورية». وسأل الدبلوماسي العريق: «أيعقل أن الدولة التي أشرفت على الاستقرار بعد الحرب في اليابان وألمانيا تفتقر الآن إلى المهارات اللازمة للعمل مع السوريين والشركاء الدوليين» في سورية؟

وبينما لا يكاد كلّ من فورد وفيلتمان يذكر الانتقال السياسي، يكرّر هوف، بوضوح، أن الانتقال السياسي الذي ينتج حكمًا شرعيًا سيظل هدف السوريين. ويجب على الإدارة الجديدة أن «تلزم نفسها بمعاقبة أي حملة متجدّدة من القتل الجماعي للمدنيين وإرهاب الدولة التي يمارسها نظام الأسد عسكريًا». وذكّر هوف بحقيقة أن أنصار النظام كانوا يتجهون إلى مخارج مدينة دمشق في صيف 2013، «عندما مسح الرئيس أوباما خطه الأحمر الخاص بالأسلحة الكيماوية.» وأضاف أن كبار مسؤولي إدارة بايدن أقرّوا علناً بالأسف على السياسات السورية لإدارة أوباما، مؤكّدا أنه «سيتم اختبار صدق أسفهم ذاك وأهميته على الأرض عندما يستأنف نظام الأسد المذابح الجماعية، سواء بالأسلحة الكيماوية أو البراميل المتفجرة أو أي أدوات أخرى لإرهاب الدولة في مخزونه».

> هوف دوما أوضح الأصوات الديمقراطية المدافعة عن السوريين، موقفه الحازم أن الأسد لا يمكن أن يكون جزءا من الحل
>
> يريد فيلتمان رفع البأس عن السوريين، ويأمل ذلك برفع العقوبات عن النظام وتشجيعه ليقدّم تنازلات حقيقية

تعبّر المقالات الثلاث عن وجهات نظر ثلاث متباينة: وبينما يسعى السفير فورد إلى إقناع الإدارة الجديدة بالانسحاب من سورية وإخلاء المنطقة للروس والإيرانيين، من دون أن يقدّم سببا مقنعا لذلك، يقع فيلتمان في حيرة من أمره، فهو يريد رفع البأس عن السوريين، ويأمل أن يتمّ ذلك من خلال رفع العقوبات عن النظام وتشجيعه ليقدّم تنازلات حقيقية، يدرك هو نفسه أن النظام غير راغب في ذلك، ثم يأتي أوضح الأصوات بين الثلاثة: فريد هوف. كان هوف دوما أوضح الأصوات الديمقراطية المدافعة عن السوريين، وهو لا يزال صلبا في موقفه الحازم من أن الأسد لا يمكن أن يكون جزءا من الحل، وهو الوحيد الذي يحترم القرارات الدولية المطالبة بانتقال سياسي حقيقي، بعيدا عن الأسد وزمرته. وأخيرا هو الوحيد الذي تخلّى عن حزبيته، وقال قول الحق في الضربات التي وجّهها الرئيس السابق ترامب إلى الرئيس السوري «على الرغم من كونها رمزية استطاعت أن توصل رسائل قوية إلى النظام».

تشكّل هذه الأصوات الثلاثة الخلفية التي ستستأنس بها سياسة الرئيس بايدن في سورية، ولا نستطيع سوى أن نأمل في أن الإدارة الجديدة لن تعيد مأساة سياسة الرئيس أوباما الجبانة والمتردّدة، ولن تعتبر جزءا من الملفّ الإيراني، وإن يكُن ذلك الأمر مستبعدا، وخصوصا بعد تعيين صديق الإيرانيين، روبرت مالي، مبعوثا لإيران، فهل تستفيق المعارضة السورية من سباتها العميق وتنظر حولها، عسى أن يكون لها قول مختلف؟

(كاتب سوري في واشنطن)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads